

المحتويات

إهداء.....	9
تقديم.....	10
ملاحظة إلى القارئ.....	17
تمهيد.....	18
الباب الأول: التاريخ والحضارة.....	30
1. تاريخ الترجمة: ما الذي تغيّر وما الذي بقي؟.....	30
2. الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية: حين صار النقل مشروعاً لبناء المعرفة.....	39
3. الترجمة في المغرب: من الوساطة التاريخية إلى المهنة الحديثة.....	47
4. الربع الأخير من القرن العشرين: حين بدأت المهنة تتغيّر من الداخل.....	51
الباب الثاني: كيف يُصنع المترجم؟.....	54
5. من مدرسة الملك فهد إلى الميدان: كيف بدأت الرحلة.....	54
6. ثلاثة أركان للمترجم: القارئ والمنهج والممارسة.....	56
7. المترجم قارئٌ قبل أن يكون مترجماً.....	58
8. الترجمة إلى اللغة الأم: قاعدة أمّ أفضلية؟.....	59
9. المترجم والمراجع: شراكة أم صراع على النصّ؟.....	61
10. المصطلح والمعرفة المتخصصة: لماذا لا يكفي القاموس؟.....	62
11. الذكاء الاصطناعي شريكٌ في التفكير لا بديل عنه.....	64

12. حين ينتقل عنق الزجاجة: من الإنتاج إلى المراجعة والحكم.....65
- الباب الثالث: الترجمة الشفهية — صناعة الحضور.....68
13. المترجم الشفهي بين الموهبة والصنعة.....68
14. كيف يتدرَّب المترجم الشفهي؟.....69
15. الترجمة التتبعية: فنُّ الإنصات وبناء الذاكرة.....71
16. الترجمة الفورية: العمل على حافة الزمن.....72
17. هل الترجمة الشفهية موهبة أم مهارة تُكتسب؟.....74
18. معايير الجودة والتكوين المهني في الترجمة الشفهية.....75
- الباب الرابع: الميدان الذي لا تُعلِّه الكتب.....77
19. اليوم الأول في الميدان.....77
20. حين يصبح المترجم جزءًا من الحدث.....78
21. المواقف التي لا تنساها المهنة.....79
22. من سنوات البدايات إلى الاستقرار المهني.....80
23. المترجم أمام التغيير: ماذا يخسر وماذا يربح؟.....81
- الباب الخامس: الأخطاء والأخلاق.....83
24. أخطاء المترجم التي لا تظهر في القواميس.....83
25. أخلاقيات المترجم: الحياد، السرية، المسؤولية وحدود الدور.....84
26. المترجم بين الإنسان والوسيط: العبء النفسي وحدود التأثير.....86
27. حين يصبح الخطأ مشكلة نظام لا مشكلة فرد فقط.....87
- الباب السادس: مجالاتٌ خاصة.....89

28. الترجمة القانونية والرسمية: حين تصبح الكلمة أثراً.....89
29. الترجمة الدبلوماسية: حين يُوزن الكلام قبل أن يُقال.....90
30. ترجمة الخطاب الديني: بين قداسة المعنى ومسؤولية الوسيط.....91
31. عربية القرآن ومسؤولية نقل المعاني.....92
32. الترجمة الإعلامية والصحفية: حين يسبق الخبر المترجم.....94
33. ترجمة لغة الإشارة: حين يصبح الجسد لغة كاملة.....95
34. الترجمة في القضاء والطب والخدمات العامة: حين يصبح الفهم حقاً لا رفاهية.....96
- الباب السابع: المكتب وإدارة المهنة.....98
35. المكتب المثالي للترجمة الرسمية: من الألف إلى الياء.....98
36. سيرُ العمل المهني في مكتب الترجمة: من استلام الوثيقة إلى التسليم والأرشفة.....100
37. نظام الجودة في مكتب الترجمة: من اكتشاف الخطأ إلى منعه.....103
38. إدارة الزبون في مكتب الترجمة: من أول اتصال إلى بناء الثقة والعودة.....105
39. إدارة الوقت والضغط في مكتب الترجمة.....107
40. من المترجم الفرد إلى المكتب المنظم: متى نفوِّض وكيف نبني فريقاً؟.....108
41. التسعير والربحية في مكتب الترجمة: كيف نحدد قيمة العمل من غير أن نسقط في حرب الأسعار؟.....110
42. حين تصبح المراجعة مسؤولية لا «خدمة مُحَفَّضة».....112
43. السُّمعة المهنية والتسويق الهادئ للمترجم.....113
44. من الشهادة إلى أول زبون: كيف يبدأ المترجم الشاب مساره من غير أن يحرق المراحل؟.....115

45. التواصل الإستراتيجي للمترجم: كيف يفتح الأبواب من غير أن يفقد وقاره المهني؟.....116
46. الجمعيات والتنظيم المهني: لماذا لا تكفي كفاءة المترجم الفردية لحماية المهنة؟.....118
47. تنظيم المهنة في المغرب: نحو رؤية أوسع للتعدد اللغوي.....119
48. نماذج دولية لتنظيم مهنة الترجمة: ماذا يمكن أن يتعلّم المغرب؟.....121
- الباب الثامن: التكنولوجيا التي غيّرت مكتب المترجم.....123
49. من القلم والقاموس إلى أدوات الترجمة بمساعدة الحاسوب.....123
50. ظهور الترجمة الآلية: حين بدأت الأنظمة تقترح الحلّ.....125
51. الذكاء الاصطناعي يدخل مكتب المترجم: من أداة للترجمة إلى شريك في التفكير.....127
52. المترجم والنظام الذكي: شراكة أم إحلال؟.....128
53. أخطار الذكاء الاصطناعي في الترجمة: الهلوسة، السرية، التحيز، وتآكل المهارة.....130
54. الترجمة الشفهية في عصر الذكاء الاصطناعي: الصوت الفوري، الدبلجة، والاستنساخ الصوتي.....132
55. حين لا تعود الأداة هي الميزة: من استعمال الذكاء الاصطناعي إلى هندسة سير العمل.....134
56. صعود النماذج العربية المتخصصة: من «دعم العربية» إلى بناء نماذج حولها.....136
- الباب التاسع: مستقبل المترجم.....138
57. هل ستختفي مهنة المترجم؟ بين الخوف من النهاية والتحول إلى مهنة جديدة.....138
58. المهن الجديدة حول الترجمة: من المترجم إلى المشرف اللغوي ومهندس سير العمل.....140
59. من المترجم إلى مراجع لغوي للذكاء الاصطناعي.....142
60. القيمة تنتقل من إنتاج الجملة إلى التصديق على صلاحيتها.....144
61. المترجم في (2035) وما بعده: كيف يمكن أن يبدو يوم العمل؟.....145

62. ماذا ينبغي أن يتعلّم طالب الترجمة اليوم؟..... 147
63. من الترجمة إلى صناعة التواصل..... 149
64. حين تصبح اللغة بنية تحتية داخل المؤسسة..... 151
- الباب العاشر: من التجربة إلى الرؤية..... 153
65. عشرون سنة، ماذا علّمتني؟..... 153
66. أشياء كنت أتمنى أن أعرفها في بداية الطريق..... 158
67. إلى المترجم الذي يبدأ اليوم..... 163
68. الترجمة التي أؤمن بها..... 168
69. الخاتمة: الرحلة لا تنتهي..... 173
- الملحق التطبيقي المختصر: دفتر الميدان..... 178
- عن المؤلف..... 182

تمهيد

لماذا كتبتُ هذا الكتاب؟

بعض الكتب تبدأ من فكرة.

وبعضها يبدأ من عُمر.

يتكوّن ببطء، من غير أن نعرف لحظة ولادته الأولى؛ يترسّب في الذاكرة من قاعة درس، ومن نصّ استعصى، ومن مصطلح أضاع ساعاتٍ من البحث، ومن خطأ بقي أثره أطول مما بقيت تفاصيل العمل نفسه، ومن وجهٍ جلس أمام مكتب الترجمة يحمل أوراقاً يراها ملفاً، بينما نكتشف نحن، مع السنوات، أنها تحمل شيئاً من حياته.

هذا الكتاب من ذلك النوع.

لم يبدأ حين جلستُ لأكتب صفحته الأولى. كان قد بدأ قبلها بزمان طويل، يوم كنتُ أتعلّم كيف أنقل جملةً من لغة إلى أخرى، قبل أن أفهم أنّ المهنة ستُعَلِّمني، مع مرور السنوات، شيئاً أوسع من نقل الجمل: ستُعَلِّمني كيف أنظر إلى المعنى، وكيف أشكُّ، وكيف أبحث، وكيف أتوقّف، وكيف أتحمّل مسؤولية كلمة قد يقرأها بعدي شخصٌ لا أعرفه؛ فيبني عليها فهماً أو قراراً.

في البداية، تبدو الترجمة طريقاً واضحاً بين لغتين؛ لغة ننطلق منها، ولغة نريد أن نصل إليها، ونصّ يقف بينهما طالباً العبور.

ثم تمضي السنوات، فنكتشف أنَّ الطريق لم يكن مستقيماً كما ظننا. بين اللغتين توجد ثقافة، ومؤسسة، وقانون، وذاكرة، وسياق، ومصلحة، وإنسانٌ قد يكون لمصطلح واحد في وثيقته أثرٌ لا تكشفه بساطة الكلمة.

وهنا نغير نظرتنا إلى المهنة. لا تعود الكلمات وحدها هي التي تعبّر من ضفةٍ إلى أخرى؛ نحن أيضاً نعبرُ معها. نعبرُ من الثقة السريعة إلى الشكِّ المهني، ومن البحث عن المقابل إلى البحث عن المفهوم، ومن الرغبة في أن نملك الجواب إلى القدرة على أن نقول، حين يجب: «لا أعرف بعد. سأتحقق».

وهذه، في رأيي، واحدةٌ من أجمل التحولات التي تصنعها الخبرة في المترجم. لا تجعله أقلَّ ثقة بنفسه، بل أكثر دقة في معرفة المواضيع التي تستحقُّ الثقة وتلك التي تستحقُّ التوقف.

من التكوين إلى الميدان

حين تخرجتُ في مدرسة الملك فهد العليا للترجمة سنة 2005، كنتُ أحمل ما يمنحه التكوين الجاد لمن يُحسن الانتفاع به: لغةً، ومنهجاً، وانضباطاً، وأدوات أولى للتعامل مع النصِّ، وثقةٌ يحتاج إليها كلٌّ من يقف على عتبة المهنة.

لكن المدرسة، مهما بلغَ مستواها الأكاديمي، لا تستطيع أن تمنح الطالب عمراً مهنيّاً لم يعشه. لا يمكنها أن تجعله يعرف معنى الموعد الضاغط قبل أن يطارده موعد حقيقي، ولا أن تجعله يشعر بثقل الخطأ قبل أن يرى خطأً صغيراً يكاد يمرُّ من بين يديه، ولا أن تُعلِّمه كامل معنى السرية قبل أن تُفتح أمامه وثيقة تحمل من حياة صاحبها ما لم يكن ذلك المترجم يوماً طرفاً فيه.

ولا تستطيع أن تمنحه معنى المراجعة كاملاً قبل أن يكتشف أن عيناً ثانية كان يمكن أن تنقذ نصاً كاملاً من رقم واحد، أو اسم واحد، أو نفي صغير.

هناك أشياء لا تُدرّس إلا جزئياً. ثم يأتي الميدان ليكملها. وهناك معرفة لا تسكن الكتاب إلا بعد أن تكون قد سكنت التجربة أولاً.

ومن هذه المسافة بين ما نتعلّمه وما نصبحه وُلد جزء كبير من هذا الكتاب. لم أرده كتاباً ينتقص من التكوين الأكاديمي، بل كتاباً يمدُّ الجسر من التكوين إلى ما ينتظر المترجم بعده. فالجامعة تمنح الأساس. أما المهنة فتعيد ترتيب كثير من الأشياء.

اللغة الثالثة للمترجم

دخلتُ مجال الترجمة وأنا أظنُّ، كما يظنُّ كثير من المبتدئين ، أن عملي يقع أساساً بين لغتين. ثم اكتشفتُ أن المترجم يحتاج، إلى جانبهما، إلى لغة ثالثة.

ليست العربية، ولا الفرنسية، ولا الإسبانية. إنها «لغة المهنة».

لغة لا نجد مفرداتها مُرتبةً في قاموس؛ لأنها تتكوّن من المواقف أكثر من الكلمات. بها نتعلّم كيف نسأل قبل أن نبدأ، وكيف نفهم ما يريده الزبون حين لا يعرف هو نفسه كيف يصوغ طلبه، وكيف نُميّز بين وثيقة واضحة وأخرى تبدو واضحة فقط، وكيف نقول إنَّ النسخة غير مقروءة بما يكفي، وكيف نطلب وقتاً إضافياً من غير أن نبدو عاجزين، وكيف نرفض موعداً لا نستطيع الوفاء به، وكيف نُميّز بين الخطأ اللغوي، والخطأ المؤسّساتي، والخطأ المهني، والخطأ الأخلاقي.

وبها أيضاً نتعلّم متى نحتاج إلى زميل، ومتى نحتاج إلى مُختصّ، ومتى تكون كلمة «لا» أكثر مهنية من كلمة «نعم».

هذه اللغة الثالثة لا تُحفظ، بل تُكتسب. تبنّيها النصوص، والزبائن، والمراجعات، والقرارات الصحيحة، والقرارات التي ندفع ثمنها ثم نتعلّم منها. ومع الوقت، تصبح هي الفارق بين شخص يعرف لغتين وشخص يعرف كيف يمارس مهنة الترجمة.

لم أكتب سيرة ذاتية

ستظهر تجربتي في هذه الصفحات، وهذا أمرٌ لا يمكن ولا ينبغي إخفاؤه. ستظهر مدرسة الملك فهد، وسنوات البدايات، والعمل في الصحافة، والترجمة الشفهية، والمكتب، والمشاريع التقنية، والوثائق الرسمية، والتعامل مع الزبائن، وتحولات السوق، والجائحة، ثم دخول الذكاء الاصطناعي إلى مكتب المترجم، لا بوصفه أداةً جانبيةً، بل بوصفه قوة بدأت تعيد ترتيب المهنة من الداخل. لكنني لم أُرِدْ لهذه الوقائع أن تكون غاية الكتاب. فالخبرة التي لا نستخرج منها معرفة تبقى ذكرى شخصية.

أما ما أردته فهو أن أسأل، بعد كلّ مرحلة: ماذا علّمتني؟ ما الذي تغيّر في طريقة عملي بعدها؟ ما الذي كنتُ سأفعله بصورة مختلفة لو عدتُ إلى بدايتها؟ وما الذي يمكن أن أوفره على من يأتي بعدي إذا سطرته على الورق؟